القصة حول العالم

بقلم : على شلش

جناية الذرة على القصة القصيرة

كان من المعروف عن الروائى الامريكى ارنست هيمنجواى انه عالج فيما عالج من الوان الكتابة القصصية لونا طريفا يتأثر اشتغاله بالصحافة فى مطلع حياته.. وهو لون حار الناس فى تسميته ، لكن الصحفيين يميلون الى حصره تحت عنوان « قصة ذرية » او « قصة فى دقيقة » ، او غير ذلك من عناوين تدل على صفة هذا اللون القصصى المركز الذى يشبه الذرة فى ضآلتها لا فى تكاثرها حين تتفتت .

ومن قبيل هذا اللون مقال طريف يدور حول القصة القصيرة .. كتبه وليام بيدن الاستاذ بجامعة ميسورى الامريكية ، وجعله مفتاحا يهتدى به القارىء فى تذوقه لنماذج القصة القصيرة فى مختلف الآداب العالمية . وقد نشر ضمن الفهرس الدورى الذى تصدره دار « مئتور » بنيويورك تحت عنوان « القراءة الرشيدة ».. وهو فهرس يظهر كل اربع سنوات ابتداء من عام ١٩٣٢ ويضم قائمة وصفية لنحو ١٢٠٠ كتاب مختار من أشهر ما انتجه العقل البشرى فى مختلف فروع المعرفة على مدار التاريخ ، قديمه وحديثه .

والمقال ـ تنطبق عليه صفة الضآلة السابقة .. لكنه يثير ـ على ضآلته ـ عدة قضايا جديرة بالمناقشة .. اوثر ارجاءها الى حين الفراغ من ايراده بنصه .. **يقول وليام بيدن :**

« من المرجح ان القصة القصيرة أقدم الاشكال الادبية المعروفة ، وما من شك ايضا فى انها أحدث هذه الاشكال . فالقصص والحكايات والاسكتشات القصصية عريقة عراقة الادب المكتوب ذاته ، ومع هذا فالقصة القصيرة باعتبارها نمطا ادبيا تتحقق فنيته بوعى تعد ذات اصل حديث نسبيا . **وليس لهذا الاصل ـ ان شئنا التوسع فى الجدل ـ قيمة كبيرة ، رغم انه من المعروف عن القصة القصيرة انها ـ بوجه عام ـ الشكل الادبى الرئيسى الوحيد الذى يعتبر امريكيا فى أساسه .**

فبعض النقاد يلح على أن اول نماذج للقصة القصيرة فى الادب الحديث هى

الاسكتشات القصصية ذات الالوان الدافئة التى كتبها واشنجتن ارفنج ، بينما يخلع البعض الآخر المصطلح على بعض الحكايات التى كتبها هاوثورن مثل « ابنة رابتشينى» وهى حكايات اقامها حول موقف واحد مكثف تنمو منه سلسلة من الحوادث المتشابكة تنتهى بذروة متوقعة . ولا يزال آخرون يذكرون اننا ــ فيما كتب قبل العمل الناضج الذى قام به ادجار الن بو ــ نعدم العثور على السعى الواعى وراء كلية التاثير والعلاقة الوثيقة التى تربط بين العقدة والشخصيات والبناء والفكرة الدافعة ، وهى عناصر تميز القصة القصيرة الحديثة عن الاسكتشات القصصية التى نراها فى كتاب الهند « البنشاتانترا » أو فى الانجيل . ولئن كان كل ماتقدم هاما فان الاكثر أهمية هو ان أرفنج ، وهاوثورن ، وبو كانوا صناعا جادين مهرة . فهم عالجوا القصة القصيرة بشكل جدى ، باعتبارها وسيلة ترفيه ، وباعتبارها شكلا ادبيا ، وعربة لنقل وتوصيل التفسير الجدى لمشاكل وجود الانسان . وبعد كل منهم رائدا فى حدود طريقته الخاصة . وقد اضفى كل منهم على الشكل الاصالة والمهارة الفنية ، ومهد الطريق للعدد المتزايد على الدوام من القراء الذين وجدوا ان القصة القصيرة ــ منذ مطلع القرن التاسع عشر ــ هى أعظم الانماط الادبية قاطبة من حيث الذيوع والانتشار .

ولقد كانت القصة القصيرة لاتفتأ تتاثر تاثرا بالغا بالمناخ الاخلاقى والسياسى والاجتماعى والادبى السائد فى بيئتها . ذلك لان «المولدات» الادبية تميل الى التغير بشكل يكاد ان يكون جذريا ودون سبب واضح تماما ــ شانها فى ذلك شان ازياء النساء . فالقصة القصيرة التى يستحسنها جيل ما ، قد يستسخفها جيل آخر، كان لم تكن . وعلى سبيل المثال نجد ان القصص القصيرة التى كتبها فرانز كافكا والتى لاقت الاعجاب على نطاق واسع ابان حقبتين من الزمان مضيتا ، هى نوع شديد الاختلاف عن نوع القصص النثرية القصيرة التى كتبها ادجار الن بو ، او هنرى جيمس او ا . ا . كوبارد او ارنست همنجواى .

ومن ثمة فان محاولة تعريف القصة القصيرة ليست بذات بال . فالقصة القصيرة ، فى ابسط اشكالها تتركز حول موقف يتضمن كائنات بشرية تعانى نوعا ما من المشاكل التى تحتاج الى نوع ما من القرارات والحلول . وتكون هذه القرارات والحلول اما طبيعية (فيزيقية) او نفسية ، حسبما تكون الحالة .

ولقد جنح كثيرون من الكتاب ، منذ عهد تشيكوف وجيمس ، نحو تاكيد الفراسة داخل الشخصية ، او تاكيد دلالة موقف ما ، او الكشف عن الدوافع الانسانية ، او اقتراح طريقة ما للحياة (بدلا من الاصلاحين التقليديين : «خط القصة او العقدة » .

ولعل ابسط وافضل معيار للحكم على القصة القصيرة هو اختبار قابلية التذكر . فالقصة الممتازة هى ، ببساطة ، القصة التى تستحق القراءة مرة اخرى. ومن حسن الحظ ان الزمن يميل الى تمييز الثمين من الغث . والقصة الممتازة

تبقى فى ذهن القارىء لانها تترك به بقية من الحق أو الجمال ، ذلك لانها تكون قد حولت مظهرا ما من مظاهر الحياة الى فن ، داخل كيمياء الخيال الخلاق » .

ومن المفيد قبل ان نناقش ما جاء بهذا المقال « الذرى » ان نوضح بعض الاسماء التى حشدها الكاتب .. وهى :

● **واشنجتن ارفنج (١٧٨٣ ـ ١٨٥٩) أمريكى معروف ، يعده البعض رائد الادب الامريكى الحديث ، وله كثير من القصص والاشعار والمقالات .**

● **ناثانييل هاوثورن (١٨٠٤ ـ ١٨٦٤) أمريكى يغلب على قصصه الطابع الرومانسى .**

● **البانشاتانترا .. مجموعة من خرافات الحيوان المبنية على الحكمة والموعظة الحسنة ، يرجع تاريخها الى القرن السادس الميلادى .**

● **ادجار الن بو (١٨٠٩ ـ ١٨٤٩) القاص والشاعر الامريكى المعروف . طور شكل القصة القصيرة واهتم بعنصر التاثير الكلى فى كتابتها . ويلقبه احيانا : « ابو القصة القصيرة » العصرية .**

● **فرانز كافكا (١٨٨٣ ـ ١٩٢٤) مجرى ، تسود كتاباته القصصية روح تشاؤمية منفرة أحيانا ، لكنها تستهوى طراز المثقفين الذين يبحثون عن حلول لأزمة الانسان المعاصر وتمزقه فى الافكار والفلسفات الوجودية المعاصرة .**

● **هنرى جيمس (١٨٤٣ ـ ١٩١٦) أمريكى معروف باتجاهاته فى تعمق نفوس ابطاله ودراسة سلوكهم من الناحية النفسية .**

● **ا.ا كوبارد (١٨٠٨ ـ ١٩٤٨) أمريكى ذو اتجاهات طبيعية ورمزية فى كتاباته القصصية .**

نعود بعد هذا الى القضايا التى يثيرها المقال وتنحصر فى اثنتين رئيسيتين :

القضية الاولى ان الكاتب اعتبر القصة القصيرة « الشكل الادبى الرئيسى الوحيد الذى يعتبر أمريكيا فى أساسه » .. وتلك مغالطة واضحة .

ذلك لانه اعترف مقدما بعراقة الادب القصصى . فالثابت ان تاريخ الادب العالمى قد ورث حصيلة ضخمة من الحكايات النثرية القصيرة والمطولة ، لعل من اقدمها « قصص السحرة » التى خلفها الفراعنة منذ نحو اربعة آلاف عام ، بالاضافة الى المجموعات الكثيرة الاخرى التى خلفها الهنود واليونانيون والعرب وغيرهم فى الزمن القديم ، وما أسهمت به العصور الوسطى وعصر النهضة من خرافات الحيوان

الى مجموعة جيوفاني بوكاشيو المعروفة باسم «الديكاميرون» ، ومع هـذا لم تتم الولادة الحقيقية لهذا الشكل الخاص من الكتابة القصصية الا في القرن الماضي بعد انتشار الصحف والدوريات المطبوعة . والثابت ايضـا ان اوربا كانت اسـبق من أمريكا في مضمار الصحافةالمطبوعة ، وان الاخيرة عاشت في كثيرمن فنونها وآدابها ـ عالة على التراث الاوربي ، فكيف اذن ابتكرت هذا الشكل ابتكارا بلا تراث خاص يسنده ويؤدي اليه ؟!

ومن الملحوظ كذلك ان الكاتب حاول ان يقصر مهد القصة القصيرة على بلاده دون تتبع لمحاولات الاوربيين ، وخاصة محاولات موباسان في فرنسا وتشيكوف في روسيا بل ان معظم استشهاداته ـ كما رأينا ـ تعتمد على الكتاب الامريكيين . ومن ثمة لم تخل آراؤه من التحيز وان كانت طريقة مركزة .

اما القضية الثانية فتتفرع من سابقتها ، وتترتب عليها . اذ سلم الكاتب بان ادجار الن بو هو صاحب اليد الطولى في تاسيس الشكل العام للقصة القصيرة العصرية . والحق ان هذا الرأي الذي سبقه اليه آخرون حين خلعوا على بو لقب « ابو القصة القصيرة » ، انما يصدق على امريكا بالدرجة الاولى . ذلك لانه في الوقت الذي كتب فيه بو نماذج ناضجة من القصة القصيرة كان الكاتب الروسي نيكولاي جوجول (١٨٠٩ ـ ١٨٥٢) يكتب بدوره نماذج اخرى ناضجة ، لعل اشهرها قصة المعطف التي قال عنها دستويفسكي : « لقد انحدرنا جميعا من معطف جوجول » . والحق كذلك ان قصص بو القصيرة التي تبلغ نحو ٧٢ قصة انما تشكل في مجموعها نهجا خاصا في الكتابة القصصية ليس الاول والاخير من نوعه ، ومجمله ان القصة عملية فنية تخاطب الذهن وتتركز حول تاثير معين يتوهمه الكاتب ويرمي الى خلقه في نفس القارىء عن طريق عدد من الوسائل الفنية مثل لياقة الموضـوع وتناسبه مع التاثير المطلوب احداثه وكذلك الاقتصاد في الوقائع وتركيز الاسلوب . بل أن هذه التعاليم التي وضعها بو لم تحدث نتائج سريعة في حينها ، وانما ظلت محدودة الفعالية ، تكاد تنحصر فيما كتبه بو نفسه .

وهكذا فالقول بان القصة القصيرة ابتكار من صنع فرد بعينه او بلد بعينـه فيه الكثير من التحـامل والتجني . ذلك لان الاصح من ذلك القـول بان القصـة القصيرة شكل فني تطور عبر سلسلة طويلة من التجارب الفردية والجماعيـة على السواء ، وكذلك عبر اطار انساني عام .

ولو كان وليم بيدن فصل القول بعض الشيء ، وابتعد عن الشكل «الذري» للمقال ، لسلسلة القصة القصيرة من اشعاعات الذرة الخبيثة !

زوايا وانباء

● **الفرد دوجان** الروائى الانجليزى المعروف بتخصصه فى التاريخ توفى فى الشهر الماضى عن ٦١ عاما . وهو من جيل جراهام جرين وايفيلين وو . ومن بين رواياته المعروفة : الفهود والزنابق ، أحياء الشتاء ، ضمير الملك ، الفارس المدرع .. والاخيرة تدور حول الحروب الصليبية وكانت سببا فى شهرته .

● **نشر الملحق الادبى** لصحيفة « ذى اوبزرفر » الانجليزية سلسلة من الفصول للروائى الامريكى الراحل هيمنجواى تحت عنوان « ذكريات باريس » .. كتبها قبل وفاته بأسلوب السيرة الذاتية ثم جمعتها أرملته واعدتها للنشر ..

وقد تناول فيها السنوات التى قضاها بباريس فى اعقاب الحرب الاولى وعلاقاته بمشاهير الكتاب فى تلك الفترة . ومن بين هذه الفصول فصل ممتع بعنوان « رحلة غريبة مع سكوت فيتزجيرالد » ، قص فيه هيمنجواى طرفا من علاقته بالكاتب الامريكى الذى عاش مغمورا فى حياته ، وتكالبت عليه ظروف بددت استقراره النفسى ، فظل طوال حياته نهبا للوساوس والاوهام .

والرحلة الغريبة قام بها هيمنجواى مع زميله فى سيارة الاخير ، وهى سيارة غريبة كصاحبها .. نزع عنها غطاءها استجابة لرغبة زوجته .. وقد قطع الاثنان الرحلة بهذه السيارة المكشوفة من مدينة ليون الى باريس ، وفاجأهما المطر فى الطريق أكثر من مرة فاضطروا الى التوقف نحو عشر سنوات ، وقضيا ليلتهما بفندق صغير ، حيث خلعا ملابسهما المبتلة وانتظراها حتى جفت ، لكن سكوت ما لبث ان سيطر عليه وهم بانه مصاب بالالتهاب الرئوى ، وانه لا محالة هالك .. وعبثا حاول هيمنجواى ان يطمئنه .. وظل يحاول التخفيف عنه بالحديث تارة ، وبالوصفات الشعبية تارة أخرى ، الى ان افاق فى النهاية من وهمه واسترد عافيته ..

وقد انهى هيمنجواى قصة هذه الرحلة الغريبة بقوله لزوجته اثر عودته ان الدرس الوحيد الذى تعلمه منها هو ألا يغامر قط بمصاحبة شخص لا يحبه فى رحلة !

● **احتفل** الاتحاد السوفييتى بذكرى مرور ١٢٥ عاما على ميلاد اديبه الخالد ليوتولستوى .. وقد عقدت بهذه المناسبة عدة ندوات القيت فيها ٤٥ محاضرة وبحثا للفيف من نقاد وادباء موسكو والمدن الاخرى .. كذلك احتفل بالذكرى المئوية لانشاء مدرسة تورجنيف .. وهى مدرسة اسسها بالقرب من مسقط راسه وكافح طويلا فى سبيل تاسيسها .. وتضم اليوم ٤٠٠ تلميذ .